الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
République Algérienne Démocratique et Populaire

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة أكلي محند أولحاج
-البويرة-
كلية الآداب واللغات
قسم اللغة العربية وآدابها

Ministère de l'Enseignement Supérieur
et de la Recherche Scientifique
Université Akli Mohand Oulhadj - Bouira -
Tasdawit Akli Muḥend Ulḥağ - Tubirett -
Faculté des Lettres et des Langues

تخصص: دراسات لغوية

السّياق في الشعر الجاهلي

معلقة زهير بن أبي سُلمى -أنموذجا-

مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماستر

إعداد:
* زعراط خديجة
* تالية سليمة

إشراف:
د.موساوي فريدة

لجنة المناقشة

- أ/.يحي سعدوني	جامعة البويرة	رئيسا
- د.فريدة موساوي	جامعة البويرة	مشرفا و مقررا
- أ/.عبد الرحمن عبد الدايم	جامعة البويرة	مناقشا

السنة الجامعية: 2016/2015

إهداء

إلى الحبيبة سر الحنان وهدية الرحمان وفيض الأمان إليك أمي.

إلى الذي غيّبه الموت عنّا وذكراه ما تزال حاضرة في قلوبنا "أبي الغالي" رحمه الله وأسكنه فسيح جنانه.

إلى أشقاء فؤادي إخوتي وأخواتي وأبنائهم وأخص بالذكر "محمد و كمال".

إلى رفيقة دربي و خليلتي "سليمة" وكل عائلتها.

إلى كل من وسعهم قلبي ولم يخطهم قلمي.

خديجة

إهداء

إلى والديّ الفاضلين، أطال الله بقاءهما في أهنإ عيشة وأرغدها، وأتم عافية وأزيدها، ومتّع بهما

إلى غرّة وجه السعود، وقرّة عين الوجود أخواي "محمد نجيب وبوعلام".

إلى ذات الشيمة الحسناء، والهمة العلياء، واليد البيضاء أختي "أسماء".

إلى كلّ ذي قربى من خؤولة وعمومة ونسب.

إلى رفيقة دربي وخليلتي "خديجة" وكلّ عائلتها.

إلى صديقاتي وزميلاتي كلّهن من مرحلة رسم الحروف إلى مرحلة البحث والتأليف، وأخص بالذكر:

"فاطمة الزهراء، سهام، فاطنة...".

إلى كلّ من وسعهم قلبي ، ولم يخطهم قلمي.

سليمة

مقدمة

مقدمـــــة:

يُعتبر مفهوم السّياق من المفاهيم التي اكتسبت أهمية كبيرة في الفكر اللغوي الحديث، وذلك لارتباطه بالمعنى وفهم مقاصد الكلام ودلالاته. وهو مفهوم متجذر في تراثنا العربي، إلّا أنّ الغربيين صاغوه في إطار نظرية متكاملة عرفت "بالنظرية السياقية".

ويعدّ السّياق أحد أهم المحاور الّتي تستند إليها اللسانيات التداولية في دراستها للغة أثناء الاستعمال، فقد أخذت في هذا أبعاداً عميقة لتتجاوز فيه الجانب اللغوي المحض، ولتشمل مختلف الظروف التي ورد فيها الحدث الكلامي.

ولمّا كان للسياق أهمية كبيرة في الدرس اللغوي الحديث-كما أسلفنا- ارتأينا أن نجري دراسة حوله، بغية معرفة عناصره، وتجلياتها في النّص الشعري القديم، فاخترنا لذلك نموذجا من الشعر الجاهلي، وهو معلقة "زهير بن أبي سُلمى" ، وعنونا هذه الدراسة ب:" **السياق في الشعر الجاهلي معلقة زهير بن أبي سُلمى_ أنموذجا_**".

قد حاولنا من هذا المنطلق أن نجيب عن مجموعة من الأسئلة والتي تتلخص فيما يلي:

- ما هو مفهوم السياق؟.
- ماهي عناصر السياق؟ وماهي أنواعه؟.
- كيف تجسّدت عناصر السياق في معلقة "زهير بن أبي سُلمى"؟.

محاولة منّا للإجابة على هذه التساؤلات قسمنا البحث إلى مقدّمة وفصلين وخاتمة، وأتبعناها بملحق أوردنا فيه نموذج الدراسة.

أمّا الفصل الأول فكان للدراسة النظرية، قمنا فيه بتعريف السياق لغةً و اصطلاحاً، ثمّ حددنا مفهوم السياق في التراث العربي، وبالأخص عند البلاغيين وعند علماء التفسير، وبعد ذلك تطرقنا إلى عناصر السياق ، وأنواعه.

الفصل الثاني فقد جعلناه فصلاً تطبيقياً، ركزنا فيه على عناصر السياق ومدى حضورها في معلقة "زهير بن أبي سُلمى"، وذلك من خلال: ظروف إنتاج المعلقة، والأغراض الشعرية التي تضمنتها، وعناصر السياق المجسدة فيها.

أمّا الخاتمة فقد حددنا فيها أهم النتائج التي أسفرت عنها هذه الدراسة.

اعتمدنا في كلّ هذا على المنهج التداولي، اقتضت لذلك طبيعة الدراسة التي تراوحت بين التنظير والتطبيق.

أمّا فيما يخص أهم المصادر والمراجع التي ظهر اعتمادنا عليها جليا في هذا البحث فنذكر: نظرية السياق بين القدماء والمحدثين لعبد النعيم خليل، ودلالة السياق لردة الله الطلحي، وشرح المعلقات السبع للزوزني.

وفي الأخير لا يسعنا إلاّ أن نتقدّم بالشكر الجزيل إلى الأستاذة المشرفة "**موساوي فريدة**" التي كانت لنا موجّهة ومرشدة إلى ما فيه سيرورة البحث وتمامه.

الفصل الأول

مفهوم السياق وعناصره

1_ مفهوم السياق: أ_ لغة ب_ اصطلاحا

2_ مفهوم السياق في التراث العربي

أ_ السياق عند البلاغيين

ب_ السياق عند علماء التفسير

3_ عناصر السياق

أ_ المنتج

ب_ المنتج وعلاقته بالمتلقي

ج_ الموضوع

د_ الزمان و المكان

1- مفهوم السياق:

أ- لغـــــــــة:

لتحديد المعنى اللغوي لمصطلح السياق لا بدّ من الرجوع إلى المعاجم وعلى رأسها "لسان العرب" فقد ورد فيه: «السَّوْقُ معروف، ساق الإبل وغيرها يسوقها سوقا وسياقا، وهو سائق وسوّاق شُدّدَ للمبالغة... وقد انساقت الإبل وتساوقت الإبل تساوقاً إذا تتابعت، وكذلك تقاودت فهي متقاودة ومتساوقة، وفي حديث أمّ معبد: فجاء يسوق بعضا وساق إليها الصداق والمهر سياقا وأساقه، وإنْ كان دارهم أو زوجها يسوق أعْنُزًا ما تساوق أي ما تتابع، والمساوقة: المتابعة كأنّ بعضها دنانير لأنّ أصل الصداق عند العرب الإبل، وهي التي تساق فاستعمل ذلك في الدّرهم والدينار وغيرهم... والسياق: المهرُ، وساق بنفسه سياقا نزع بها عند الموت وتقول: رأيت فلانا يسوق سوقا أي: ينزع نزعاً عند الموت».[1]

من خلال هذا التعريف نستنتج أنّ معنى السّياق له دلالة على التتابع والترادف، أي التوالي.

وجاء في "أساس البلاغة": «ومن المجاز: ساق الله إليه خيرا، وساق إليها المهر وساقت الريح السحاب، وتساوقت الإبل تتابعت، وهو يسوق الحديث أحسن سياق وإليك يساق الحديث وهذا الكلام مساقه إلى كذا، أو جئتك بالحديث على سوقه: على سرده».[2]

---

[1]- أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور الإفريقي المصري، لسان العرب، مج 7، دار صادر للطباعة والنشر، ط 4، بيروت، دت، ص 304-305.

[2]- الإمام جار الله فخر خوارزم محمود بن عمر الزمخشري، تح: محمد أحمد قاسم، أساس البلاغة، المكتبة العضوية صيدا، ط 1، بيروت، 1423هـ-2003م، ص 422.

ويقصد بالسرد التوالي والتتابع، وبهذا المعنى يكون سياق الكلام أو الحديث سرده وتوجيهه وهو استخدام مجازي لهذا التعبير.

قال الله تعالى: « ***وَجَاءَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَعَهَا سَائِقٌ وَشَهِيدٌ*** ».[1]

قيل في التفسير: سائق يسوقها إلى محشرها، وشهيد يشهد عليها بعملها.

وقال شاعر:

وَمَا النَّاسُ فِي شَيْءٍ مِنَ الدَّهْرِ وَالمَعْنَى وَمَا النَّاسُ إِلَّا سِيقَاتُ المَقَادِرِ.[2]

أمّا في "مقاييس اللغة" فقد ذهب صاحبه إلى أنّ: «السين والواو والقاف أصل واحد، وهو حَدْو الشيء. يقال: ساقه يسوقه سوقا، والسّيقة ما استيق من الدواب. ويقال: سقت إلى امرأتي صداقها وأسقته، والسوق مشتقة من هذا لما يساق إليها من كلّ شيء، والجمع أسواق، والساق للإنسان وغيره والجمع سوق، إنّما سميت بذلك لأنّ الماشي ينساق إليه، ويقال امرأة سوقاء، ورجل أسواق إذا كان عظيم الساق والمصدر السّوق، قال رؤبة: قبّ من التّعداء، حقبّ في سوق، وسوق الحرب حومة القتال وهي مشتقة من الباب الأول».[3]

من خلال ما قدمنا من تعريفات لغوية للسياق يتضح لنا أنّ معاني المصطلح مأخوذة كلّها من دلالة الحدث وهو التتابع، والمعاني المجازية التي قدّمها لنا الزمخشري إنّما تقع وصفاً للأسلوب والغرض والغاية، وكذا التوالي وتتابع مكونات الحديث وهو المقصود من مفهوم تتابع الإبل والقافلة.

---

[1]- سورة ق، الآية 21.

[2]- الزمخشري، أساس البلاغة، ص 34.

[3]- أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا الرّازي، مقاييس اللغة، مج1، دار الكتب العلمية، ط 1، بيروت، 1420هـ-1999م، ص 578.

ب- السّياق اصطلاحـــا:

يستعمل لفظ السياق مقابلا للمصطلح الإنجليزي "Context" الّذي يراد به: «المحيط اللغوي الّذي تقع فيه الوحدة اللغوية سواء كانت كلمة أو جملة في إطار من العناصر اللغوية وغير اللغوية».[1]

ويرى كذلك "هاليدايM.Halliday" أنّ السياق هو: «النّص الآخر أو النّص المصاحب للنّص الظاهر وهو بمثابة الجسر الّذي يربط التمثيل اللغوي ببيئته الخارجية».[2]

إذن فالسياق كلّ الظروف المحيطة بالحدث اللغوي، سواء أكان كلمة أو جملة.

ويعرّف السياق كذلك في "قاموس اللسانيات" ل"جون ديبوا J.Dubios" على أنّه: «الوحدات الّتي تسبق أو تلحق وحدة محدّدة».[3]

كما ورد في القاموس الموسوعي لعلوم اللغة لكلّ من "ديكرو O.Ducrot" و"تودوروف T.Todorov" مقام الخطاب هو:« مجموع الملابسات الّتي في إطارها يتحدد فعل التلفظ سواء كان مكتوبا أو شفاهيا، أي يجب أنْ يعنى بالمحيط المادي والاجتماعي الّذي يأخذ فيه هذا الفعل مكان الصورة المتبادلة بين المتخاطبين، ويفضل "ديكرو" ربط مصطلح السياق بما هو لغوي محض، أي بالوحدات الصوتية والمعجمية الّتي تسبق أو تلحق الملفوظ خاصّة».[4]

وهذا ما يؤكّده "غريماس J.Greimas" و"كورتيس J.Courtès" في معجم السيميائيات حيث جاء في تعريفهما للسياق على أنّه: «مجموع النصوص الّتي تسبق أو تواكب وحدة تركيبية

---

[1]- ردة الله بن ردة بن ضيف الله الطلحي، دلالة السياق، معهد البحوث العلمية، ط1، مكة المكرمة، 2003م، ص51.

[2]- المرجع نفسه، ص 51.

[3]- علي أيت أوشان، السياق والنّص الشعري من البيئة إلى القراءة، دار الثقافة، ط1، الدار البيضاء-المغرب، 2000م، ص 34.

[4]- المرجع نفسه، ص 33.

معينة وتتعلق بها الدّلالة حيث يمكن له أنْ يكون صريحا أو لسانيا أو ضمنيا وهنا يعد سياق خارج لساني أو مقامي».[1]

يتبيّن من خلال هذه التعاريف أنّ هناك نوعين من السياق: سياق لغوي، وسياق غير لغوي، الأول متعلق بالوحدة الصوتية المعجمية وبالجانب التركيبي. والثاني هو كلّ ما يعلق أي يسبق ويلحق هذه الوحدات، كما أنّه مجموع العناصر المكوّنة للسياق الّذي يحف الحدث الكلامي أي ما يحيط به من ظروف.

2- مفهوم السياق في التراث العربي:

لقد عالج العرب قديما فكرة المقام من خلال المقولة المشهورة "لكلّ مقام مقال". ولعلّ العرب لم يصطلحوا على مفهوم السياق كما هو متداول في العصر الحديث، وإنّما تناولوه بمصطلحات أخرى تصب في نفس المعنى أو المفهوم الّذي يؤديه مصطلح السياق كالحال والمقام والموقف. وهذا ما يظهر جليا عند البلاغيين والمفسرين.

ولقد استخدم البلاغيون على الخصوص مصطلحين من بين المصطلحات المذكورة للدلالة على ما يسمى بسياق الموقف، وهما "الحال والمقام"، و"سياق الموقف" يُعنى أساسا بالعالم الخارجي عن اللغة والمتعلق بالمتكلم والسامع، وكلّ الظروف الاجتماعية والنفسية والثقافية لكلّ منهما.

[1]- حكيمة حبي، السياق التداولي في "كليلة ودمنة" مذكرة ماجستير، جامعة تيزي وزو، د ت، ص 18.

أ- مفهوم السياق عند البلاغيين:

إنّ فكرة المقام كما أشرنا آنفا كانت مبثوثة في لبّ أعمال البلاغيين، فقد أعطوه حقه من الدراسة، وأولوه عناية خاصّة من خلال العناية بحال المتخاطبين وظروف إنتاج الخطاب.

ونجد هذا الاهتمام راجع أساساً لأهمية الموضوع، وخاصة في البلاغة إذ اشترطوا فيه مطابقة أحوال المستمعين، فعرّفوا البلاغة على أنّها: «مطابقة الكلام لما يقتضيه حال الخطاب».[1] والمقصود بالحال هنا هو: «المقام، وهو الأمر الحامل للمتكلم على أنْ يورد عبارته على صورة مخصوصة والمقتضى ويسمى "الاعتبار المناسب" هو الصورة المخصوصة الّتي تورد عليها العبارة».[2]

نستنتج من هذا أنّ المخاطِب "المتكلم" حتى يكون بليغا في خطابه لابدّ عليه أنْ يُخضعه ويكفيّه للمقام الّذي حمله على ذلك.

ومن الأوائل الّذين تحدثوا عن فكرة المقام من البلاغيين نجد عبد الله ابن المقفع (ت 145 هـ) حين سئل عن معنى البلاغة إذ يقول :«البلاغة اسم جامع لمعان تجري في وجوه كثيرة، فمنها ما يكون في السكوت، ومنها ما يكون في الاستماع ،ومنها ما يكون في الإشارة، ومنها ما يكون في الاحتجاج ،ومنها ما يكون جواباً ،ومنها ما يكون شعراً ، ومنها ما يكون سجعًا وخُطباً، ومنها ما يكون رسائل، فعامة ما يكون من هذه الأبواب الوحي فيها والإشارة إلى المعنى والإيجاز هو البلاغة».[3]

---

[1]- السيد أحمد الهاشمي، جواهر البلاغة، المكتبة العصرية، ط 1، بيروت، 1999، ص 40.

[2]- حفني ناصف وآخرون ، شرح دروس البلاغة ، شرح: محمد صالح العثيمين، دار ابن الجوزي، ط 1، القاهرة، 1429هـ-2008م، ص18.

[3]- فريدة موساوي، المقام في الشعر الجاهلي تناول تداولي لمعلقتي عمرو كلثوم والحارث بن حلزة، مذكرة ماجيستير، 2004-2005م، ص41.

ويضيف ابن المقفع: « فأمّا الخطب بين السماطين وفي إصلاح ذات البين في غير خطل والإطالة في غير إملال وليكن في صدر كلامك دليل حاجتك، كما أنّ خير أبيات الشعر البيت الّذي إذا سمعت صدره عرفت قافيته، فقيل له فإنْ ملّ السامع الإطالة التي ذكرت أنّها حق ذلك الموقف قال: إذا أعطيت كل مقام حقه، وقمت بالّذي يجب من سياسة ذلك المقام ،وأرضيت من يعرف حقوق الكلام فلا تهتم لما فاتك من رضا الحاسد والعدو».[1]

نلاحظ من هذا القول أنّ الخطاب قد يكون كلاما وقد يكون في الاستماع وكذلك في السكوت وكذا الإشارة. وهذا الخطاب يختلف باختلاف الموضوعات فبعضها يحتاج إلى إطالة وآخر إلى إيجاز، ويضيف أيضا أنّ هذا الخطاب تصاحبه ظروف معينة تعرف بالسياق أو الموقف.

وفي سياق هذا ذهب الجاحظ إلى أنّ أصناف الدلالات عن المعاني من لفظ وغير لفظ خمسة أشياء لا تنقص ولا تزيد: «أوّلها اللفظ، ثم الإشارة ثم العقد، ثم الخط، ثم الحال التي تسمى نِصبه».[2]

من خلال قول الجاحظ وتصنيفه لهذه الدلالات عن المعاني نبرز صنفين اثنين أساسيين لهما علاقة وطيدة بموضوع السّياق ألا وهما: الإشارة والنِصبة.

[1]- عبد النعيم خليل، نظرية السياق بين القدماء والمحدثين، دراسات لغوية نحوية دلالية، دار الوفاء، ط1 ، الإسكندرية، 2008 ،ص 163–164.

[2]- أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ، البيان والتبيين، تح: عبد السلام محمد هارون، ج1، مكتبة الخانجي، ط7، القاهرة، 1418هـ-1998م، ص 76.

ويضيف الجاحظ: «فالإشارة ما كانت باليد والرأس والعين والحاجب والمنكب فهي تنوب عن اللّفظ لأنهما شريكان».[1] فالإشارة إذن قد تنوب عن اللّفظ وتبلغ مالا يبلغه، فهي عنوانه وترجمانه و كثيرا ما تنوب عنه لهذا يقال: ورُبَّ إشارة أبلغ من عبارة.

يقول أحد الشعراء في دلالة الإشارة:

العين تبدي الّذي في نفس صاحبها من المحبة أو بغض إذا كانــا.

والعين تنطق والأفواه صامتـــة حتى ترى من ضمير القلب تبيانا.[2]

وقال آخر:

وللقلب على القلب دليل حين يلقاه.

وفي النّاس من النّاس مقاييس و أشباه.

وفي العين غنى للمرء أن تنطق أفواه.[3]

والإشارة أيضا -كما ذكرنا -قد تنوب عن اللفظ وتبلغ ما لا يبلغه، وذلك حين مصاحبتها للحدث الكلامي، وفي هذا يقول الجاحظ: «وحسن الإشارة باليد والرأس من تمام حسن البيان باللسان».[4] إذن فالإشارة سواء كانت باليد أو بالرأس، فهي تؤكدّ وتنوب عن اللفظ إنْ عجز عن إفهام السامع.

أمّا فيما يخص النِّصبة فقد عرّفها كما يلي: «... فهي الحال الناطقة بغير اللفظ والمشيرة بغير اليد، وذلك ظاهر في خلق السموات والأرض وفي كلّ صامت وناطق ... فالصامت ناطق

[1]-الجاحظ، البيان والتبيين، ص77.

[2]- المصدر نفسه ، ص 79.

[3]- المصدر نفسه، ص 78.

[4]- المصدر نفسه، ص79.

من جهة الدلالة، وفي هذا قال الفضل بن عيسى بن أبان: سل الأرض فقل من شقّ أنهارك وغرس أشجارك، وجنى ثمارك؟ فإنْ لم تجبك حوارًا أجابتك اعتبارًا».[1]

فالنِّصبة إذن لها علاقة وطيدة بالسياق، فهي ما لم تكن في اللفظ ولا في الإشارة.

كما عنى "الجاحظ" بحال المتخاطبين وظروف الخطاب بقوله: «وينبغي أن تعرف أقدار الحالات فتجعل لكلّ طبقة كلاما، ولكلّ حال مقامًا، حتّى تقسم أقدار المعاني على أقدار المقامات وأقدار المستمعين على أقدار الحالات، واعلم أنّ المنفعة مع موافقة الحال، وما يجب لكلّ مقام مقال».[2]

من هذا يتّضح لنا ارتباط المقام بالمقال، وأنْ يكون الكلام مناسبا للمقام ومناسبا للأشخاص.

ويرى الجاحظ بالإضافة إلى هذا إلى أنّ مدار الأمر في تحقيق العملية التواصلية بكلّ أبعادها، لا بدّ أنْ يكون لكلّ ضرب من الكلام ضربا من اللفظ، ولكلّ نوع من المعاني نوعا من اللفظ، وهذا لأنّه يجب أنْ يكون الكلام بحسب المواقف ويؤكدّ على ذلك بقوله: «إفهام كلّ قوم بمقدار طاقتهم، والحمل عليهم على أقدار منازلهم».[3]

لذا كان لا بدّ على المنتج أنْ يراعي الظروف المحيطة بالحدث الكلامي، فاختلاف المواقف، وتعدد الحالات النفسية للمتلقي أو السامع، واختلاف طبقات المستمعين، كلّ ذلك لابدّ على المنتج أنْ يأخذ بعين الاعتبار حتّى يحقق الخطاب الغاية المنشودة.

---

[1]- الجاحظ، البيان والتبيين، ص 81.

[2]- فريدة موساوي، المقام في الشعر الجاهلي تناول تداولي لمعلقتي عمرو بن كلثوم والحارث بن حلزة، ص 37.

[3]- المرجع نفسه، ص 93.

ويؤكد "أبو هلال العسكري" بهذا الخصوص: «... فلا يكلّم سيد الأمة بكلام الأمّة ولا الملوك بكلام السوقة ... ويكون في قواه التصرف في كل طبقة».[1] يتضح من خلال هذا القول أنّ الكلام لا يتحقق إلّا من خلال مراعاة مقام المتلقي ومكانته.

أمّا في "الإيضاح في علم البلاغة" فقد ذكر صاحبه: «بلاغة الكلام هي مطابقة لمقتضى الحال مع فصاحته ومقتضى الحال مختلف ومقامات الكلام متفاوتة، فمقام التنكير مباين لمقام التعريف ... ومقام التقديم مباين لمقام التأخير ومقام الذكر مباين لمقام الحذف وكذا خطاب الذكي مباين لخطاب الغبي».[2]

وجاء أيضا في "مفتاح العلوم": «لا يخفى عليك أنّ مقامات الكلام متفاوتة فمقام الشكر يباين مقام الشكاية، ومقام التهنئة يباين مقام التعزية، ومقام المدح يباين مقام الذم، وكذا مقام الكلام ابتداء يغاير مقام الكلام بناءً على الاستخبار أو الإنكار ومقام البناء على السؤال يباين مقام البناء على الإنكار، وكذا مقام الكلام مع الذّكي يباين مقام الكلام مع الغبي، ولكلّ من ذلك مقتضى غير مقتضى الآخر».[3]

من خلال هذين التعريفين وخاصة من قول "السكاكي" يظهر أنّ مقامات الكلام مختلفة ،وكذلك أنماط الاستخدام اللغوي وأشكاله تختلف وتتنوع بحسب العلاقات الاتصالية ،ومقتضيات

[1]-أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل العسكري، الصناعتين، تح: مفيد قميحة، دار الكتب العلمية، لبنان، 2008، ص 28.

[2]- سعد الدين أبي عبد الرحمان القزويني، المعاني والبيان والبديع مختصر تلخيص المفتاح، مكتبة ومطبعة محمد علي صبيح وأولاده، دط، 1290هـ - 1917م، ص67.

[3]- أبو يعقوب بن محمد بن علي السّكاكي، مفتاح العلوم، تح: عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية، ط1، بيروت، 1420هـ-2000م، ص 256.

هذا الاتصال من مقام المنتج إلى مقام المستمع ومقام الكلام وسياقات وروده. وبهذا فإنّ السكاكي قد ألمّ بكلّ ما يحيط بالعملية التواصلية من مقام وخطاب وطرفيه (منتج ومتلقي).

وقد استخلص "حامد صالح خلف الربيعي" من قول "السكاكي" أربع تصنيفات للمقام وهي:

«1-مقامات الكلام: بحسب المقاصد والأغراض والتشكر والشكاية، والتعزية والمدح والذم والترغيب والترهيب وما إلى ذلك.

2- مقامات الكلام: بحسب المخاطب من حيث كونه ذكيا أو غبيا، وكونه عالما أو جاهلا.

3- مقامات الكلام: بحسب السياق، فكلّ كلمة مع صاحبتها مقام (السياق اللغوي).

4- مقامات الكلام: بحسب الموقف، فلكلّ حدّ ينتهي إليه الكلام مقام، وهنا يكون الكلام عن الإيجاز و الإطناب والمساواة والمواقف الّتي تقتضي كلا منهما.»[1]

ب- مفهوم السياق عند علماء التفسير:

يعرَّف علم التفسير عند العلماء على أنّه: «العلم الّذي يعرف به فهم كتاب الله تعالى المنزل على نبيه محمد صلى الله عليه وسلم وبيان معانيه واستخراج أحكامه وحكمه».[2]

لذا فقد وضع المفسرون شروطا لمن أراد أنْ ينظم في هذا العلم الجليل وألحُّ هذه الشروط ما هو متعلق بالسياق والمقام وما يحيط بالنص القرآني من ظروف وملابسات ،لا بدّ للمفسرين من الوعي بها قبل مباشرتهم تفسير النص القرآني، وكذا إحاطته بكلّ ما يدخل في السياق اللغوي وما يتطلبه من استحضار النّص القرآني جميعه عند تفسير بعضه ،لأنّ القرآن يفسر بعضه بعضا ومعرفة أوجه السياق اللغوي وكيفية تحركها ، بما يؤكد ارتباط آي الذكر الحكيم بعضها ببعض

[1]- حامد صالح خلف الربيعي، مقاييس البلاغة بين الأدباء و العلماء، سلسلة بحوث اللغة العربية، د ط، السعودية، 1416هـ-1996م، ص 543-544.

[2]- عبد النعيم خليل، نظرية السياق بين القدماء والمحدثين، ص 195.

حتّى تكون كالكلمة الواحدة منسقة المعاني منتظمة المباني، فقد اشترطوا على من يتصدى لتفسير آي الذكر الحكيم جملة من الشروط الّتي تؤكد وعيهم بالسّياق. وذلك من خلال معرفة أسباب النزول لأنّ عدم الوعي بأسباب النزول قد يؤدي إلى فقدان المعاني المرادة من الآية مناط التفسير إضافة إلى معرفة المناسبة الّتي نزلت فيها كل آية.

فنجد "الطبري" يقول في هذا: «غير جائز صرف الكلام عمّا هو في سياقه إلى غيره إلاّ بحجة التسليم لها من دلالة ظاهر التنزيل، أو خبر عن الرسول تقوم به حجة، فأمّا الدعاوى فلا تتعذر على أحد».[1]

فالطبري يرى أنّه لا بدّ من الاعتماد على السياق في بيان المعنى في النصوص الشرعية إذ يعد اللجوء إلى قرائن السياق من أهم وسائل تحديد المعنى ،وأنّه لا يمكن إطلاق تفسير الآيات القرآنية دون النّظر إلى السياق الذي وردت فيه.

ويضيف السيوطي: «وأمّا ما لم يرد فيه نقل، أي تفسير، فهو قليل وطريق التوصل إلى فهمه، النظر إلى مفردات الألفاظ من لغة العرب ومدلولاتها واستعمالها بحسب السياق، وهذا يعني به الراغب كثيرًا في كتاب المفردات فيذكر قيدا زائدا على أهل اللغة في تفسير مدلول اللفظ لأنّه اقتضاه السياق».[2]

ومنه فإنّ اهتمام المفسرين بالسياق يظهر جليا لأهميته الكبيرة في التفسير، إذ اعتبروه عنصراً أساسياً ومهماً لا يمكن الاستغناء عنه. ذلك لأنه يعين على تفسير وفهم آيات القرآن الكريم.

[1]- أبو جعفر محمد بن جرير الطبري، جامع البيان عن تأويل أي القرآن، تح: محمود محمد شاكر، مج9، مكتبة ابن تيمية، ط2، القاهرة، د ت، ص 389.

[2]- عبد النعيم خليل، نظرية السياق بين القدماء والمحدثين، ص 195.

عناصر السياق و أنواعه:

3- عناصر السياق:

تتمثل العناصر الأساسية للسياق في:

أ- المنتج:

يعدّ المنتج أو المتكلم أهم عنصر في السياق، ولذلك «فإنّ مشاهدة المتكلم في أثناء الكلام الفعلي تعين على فهم الحدث اللغوي بل التعرف على كل صفات المتكلم، ذلك أنّ لكلّ متحدث معجمه الخاص ومفرداته الّتي يتألف معها وبفضل استخدامها، بل له مميزاته الصوتية الخاصّة أو نطق صوتي خاص لمفردة معينة في موقف معين ... شخصية المتكلم ومجموعة الملامح اللغوية الّتي ترتبط بشخص معين».[1]

إذن فالمنتج هو أحد العناصر الفاعلة في العملية التواصلية، وهو كذلك طرف هام من أطراف الرسالة اللغوية فهو: «الذات المحورية في إنتاج الخطاب، لأنّه هو الّذي يتلفظ به من أجل التعبير عن مقاصد معيّنة، وبغرض تحقيق هدف فيها ،ويجسد ذاته من خلال بناء خطابه باعتماده استراتيجية خطابية تمتد من مرحلة تحديد السياق ذهنيا والاستعداد له بها في ذلك اختيار العلامة اللغوية الملائمة، وبما يضمن تحقق منفعته الذاتية بتوظيف كفاءته للنجاح في نقل أفكاره بتنوعات متناسبة».[2]

[1]- عبد المنعم خليل، نظرية السياق بين القدماء والمحدثين، ص84-85.

[2]- عبد الهادي بن ظافر الشهري، استراتيجيات تحليل الخطاب، مقاربة لغوية تداولية، دار الكتاب الجديد المتحدة ، ط1، بنغازي، ليبيا، 2004، ص54.

من خلال ما ذكرناه نلاحظ أنّ المنتج (المتكلم) خلال إنتاجه للخطاب يقوم باستحضار كلّ ما يمتلكه من امتيازات، وذلك من خلال ثقافته ومكانته الاجتماعية وخلفياته الإيديولوجية، لأنّه أمر ضروري لمقاربة المعنى الّذي يرجوه من خطابه.

ب- المتلقي:

إنّ العملية التواصلية في الأساس لا تقوم إلاّ بوجود قطبين أساسيين هما: المنتج (المتكلم) والمتلقي وهذا الأخير لا يقل أهمية عن سابقه والذي يكون مركز اهتمامه. فالمنتج لا يمكن له أنْ يلقي خطابه دون أنْ يكون هناك مستقبِل لهذا الخطاب. «فهو حاضر في ذهن المرسل عند إنتاج الخطاب سواء كان حضورا عينا أم استحضارا ذهنيا وهذا الشخوص أو الاستحضار للمرسل إليه هو ما يسهم في حركية الخطاب ... ويمنحه أفقا لممارسة اختيار إستراتيجية خطابه».[1]

نلاحظ إذن أنّ المنتج خلال إنتاجه لرسالة لغوية ما (إمّا لمتلقي حاضر أو خيالي)، فإنّه يفرض عليه مراعاة أحوال هذا المتلقي كالحالة النّفسية والثقافية والاجتماعية، وكذا من خلال العلاقة القائمة بينهما.

ولذلك «فإنّ علاقة المتكلم بالسامع قد تفرض نوعا من الحديث ،فحديث التلميذ مع أستاذه يختلف عن حديثه مع أحد أصدقائه، وحديث الابن مع والده يختلف عن حديثه مع الآخرين، والأم تتحدث كأم عن أطفالها أو شؤون أطفالها، إنّ مستوى الحديث يمكن أنْ يحدد درجة العلاقة

[1]- عبد الهادي بن ظافر الشهري، استراتيجيات الخطاب، ص 48.

الشخصية بين المتكلمين ،أو إنّه يمكن أنْ يؤثر في الدور الذي تلعبه اللغة في الموقف أو المقام فالحديث الّذي يدور بين الزوج وزوجته تتخلله عبارات الألفة والمودّة وعدم التمسك بالرسميات».[1]

من هذا نستنتج أنّ المعنى القاموسي أو المعجمي ليس هو الكفيل الوحيد في «إدراك معنى الكلام فثمة عناصر غير لغوية ذات دخل كبير في تحديد المعنى، بل هي جزء أو أجزاء من معنى الكلام، وذلك كشخصية المتكلم والمخاطب وما بينهما من علاقات، وما يحيط بالكلام من ملابسات وظروف ذات صلة به كالجو والحالة السياسية».[2]

ج- الموضوع:

تختلف الأنماط اللغوية باختلاف الموضوعات الّتي تدور حولها وتعبر عنها من أدبية إلى سياسية إلى اجتماعية ، اقتصادية، ثقافية.

ومن هنا فإنّ «الوقوف على الموضوع الّذي يدور فيه الحديث يعين كثيرا في فهم الحديث اللغوي، فمجال الحديث يتصل بالآثار المترتبة على الدور الّذي يؤديه المتكلم ،مثل: علام كانت تدور اللغة الّتي استخدمها؟ ما التجربة التي يريد أنْ يعبر عنها؟ ما الّذي يحدث من خلال اللغة؟ وهذا يتضمن بالضرورة الموضوع وكلّ ما يتصل به من أحداث، وهو ما يؤكدّ وجهة نظر" GARDINER" من المشاركين في الحديث الكلامي لهم دور بارز، ففي بعض المجالات غير المتخصصة ،مثل: إقامة علاقة شخصية أو ما يشابه ذلك نجد عدد من الموضوعات التي قد تتصل بهذا المجال، مثل: الحديث عن الجو أو الصّحة ... أمّا في المجالات المتخصصة ،مثل:

[1]- عبد النعيم خليل، نظرية السياق بين القدماء والمحدثين، ص 87.

[2]- المرجع نفسه، ص86.

أحاديث العلماء والتقنيين والخبراء وغيرهم.فنجد أنّ هذا النوع من الأحاديث يتجه من فرد إلى فرد من ذوي التخصص المشترك».[1]

من خلال هذا فإنّ الموضوع هو مدار الحدث الكلامي، ويكون بحسب طبيعة المجال الّذي يقوم عليه الحديث، سياسة، شعر، إقتصاد..

د- الزمان و المكان:

إنّ للعنصر الزماني أهمية في تحديد المعنى المقصود.«فكلمة صباح الخير إذا قيلت في وقت المساء فلا بدّ من أنّ القائل يقصد معنى مخالف لمعنى التحية، وكذلك إذا قيلت تحية المساء وقت الصباح فإنّها تحمل معنى مغاير لمعناها الأصلي، وعلى ذلك فإنْ استخدمت تحية مساء الخير بعد الظهر يتوقف على معرفة المتكلم للوقت الذي تقال فيه التحية ولكي يكون قادرًا على استخدامها استخداما صحيحًا يجب أنْ يعرف ما تعنيه هذه التحية، كما يجب أنْ يكون الوقت مناسبا حقا لهذه التحية».[2] لا يمكن الاستغناء عن عنصر الزمان بمعزل عن عنصر المكان اللّذين ورد فيهما الحدث اللغوي للوصول إلى المعنى المبتغى.

وكذلك للمكان أهمية كبيرة في خلق وإنتاج أي عمل أدبي. «إذ من المستحيل أن يستغني العمل الأدبي مهما كان شكله وجنسه عن عنصر المكان ... لأنّه عنصر أساسي من عناصر بناء النّص الأدبي».[3]

---

[1]- عبد النعيم خليل، نظرية السياق بين القدماء والمحدثين ، ص 87.

[2]- المرجع نفسه، ص 87.

[3]- باديس فوغالي، الزمان والمكان في الشعر الجاهلي، جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية قسنطينة، الجزائر، عالم الكتب الحديث، ط1، عمان، الأردن، 2008م، ص 237.

إذن فمعرفة الزمان والمكان اللّذين ورد فيهما أي عمل أدبي والّذي يعدّ الرسالة اللغوية عنصر هام جدًا للوقوف على الدلالة، فعنصر الزمان من العناصر الأساسية التي تشكل أي عمل أدبي، ولا يقل عنصر الزمان أهمية عن عنصر المكان في تحديد المعنى المقصود.

4- أنواع السياق:

يقوم السياق بأدوار كثيرة في الحدث الكلامي، وفي الوصول إلى معاني الكلمات والجمل والعبارات، وقد قُسّم السياق إلى أنواع عدّة، وهذا حسب رؤى الباحثين فنجد الباحث "آمر" K.AMMER اقترح أربعة أقسام، وهي كالآتي:

أ- السياق اللغوي:

وهو يعني «ذلك المعنى الّذي ورد لهذه الكلمة في المعجم أي معنى الجملة أو العبارة ويتمثل ذلك في العلاقات الصوتية والصرفية والنحوية والدلالية هذه الكلمات على مستوى التركيب، فقد نجد كلمة يختلف معناها باختلاف الكلمات التي تكون معها جملة أو عبارة».[1]

نستنتج أنّ السياق اللغوي هو كلّ ما تعلق باللغة، وما يصاحب الكلمة من تركيب صوتي ونحوي ...

ب- السياق العاطفي:

يعتمد على كيفية تأثير المنتج في متلقيه، وكيفية إقناعه فيحسن توظيف عباراته وكيفية توجيهها للآخرين، ويتبع في ذلك طريقة خاصّة من خلالها يبلغ رسالته ويحقق هدفه المقصود وذلك من خلال التفاعل الّذي يحدث بين الطرفين (المنتج والمتلقي).

[1]- أحمد مختار عمر، علم الدّلالة، عالم الكتب، ط5، القاهرة، 1998م، ص 70.

والسياق العاطفي «يحدد درجة القوة والضعف في الانفعال ممّا يقتضي تأكيداً أو مبالغةً أو اعتدالاً».[1]

وبهذا فإنّ هذا النوع من السياق متعلق بالدرجة الأولى بالمنتج وكيفية تبليغ رسالته إلى المتلقي.

ج- سياق الموقف:

يُعنى هذا النوع من السياق بالموقف الخارجي الّذي يمكن أنْ تقع فيه الكلمة، إذ له أهمية بالغة في تحديد المعنى، ودور فعال في التأويل مثلا: «استعمال كلمة (يرحم) في مقام تشميت العاطس: يرحمك الله (البدء بالفعل)، وفي مقام بعد الموت: الله يرحمك (البدء بالاسم) فالأولى تعني طلب الرحمة في الدنيا، والثانية طلب الرحمة في الآخرة وقد دلّ على هذا سياق الموقف الّذي يجعل "لكلّ مقام مقال" إضافة إلى السياق اللغوي المتمثل في التقديم والتأخير».[2]

إذن فسياق الموقف يعد المجتمع المتتبع للنّص (الخطاب) والتلقي له، إذ له أهمية بالغة في تحديد المعنى فهو يخلق التفاعل القائم بين الخطاب ومتلقيه.

د- السياق الثقافي:

و يظهر هذا جليا في المستوى الثقافي للمتكلم (منتج الخطاب) والمتلقي وإذا ما كان المنتج والمتلقي مثقفين، ومدى معرفتهما لمختلف العلوم، وكذا المكانة الاجتماعية.

والسياق الثقافي هو: « السياق الذي يكشف عن المعنى الاجتماعي، وذلك المعنى الّذي توحي به الكلمة أو الجملة، والمرتبط بحضارة معيّنة أو مجتمع معيّن، ويدعى أيضا المعنى الثقافي

[1]- أحمد مختار علم الدلالة ، ص71.

[2]- المرجع نفسه ، ص 71.

فاختلاف البيئات الثقافية في المجتمع تؤدي إلى اختلاف دلالة الكلمة من بيئة إلى أخرى».[1]

فالسياق الثقافي هو ذلك المحيط الثقافي أو الاجتماعي الّذي يساهم في إنتاج النص أو الخطاب.

أمّا من حيث :« ثقافة المتكلمين فإنّ كلّ جماعة تنتمي إلى مستوى ثقافي واحد تتواضع على ألفاظ دون غيرها من المستويات الثقافية الأخرى».[2] من هنا يتبين لنا أنّ السياق الثقافي متعلّق بالبيئة الّتي يعيش فيها أفراد المجتمع، وكذا متعلّق بالمستوى الثقافي لديهم.

[1] -عوض حيدر فريد، علم الدلالة، دراسة نظرية تطبيقية، مكتبة الآداب، دط، القاهرة، 2005، ص 159.

[2] - محمد سعيد محمد ، في علم الدلالة، مكتبة زهراء الشرق، ط1، مصر، 2002، ص43.

الفصل الثانـي

عناصر السياق في معلقة زهير بن أبي سُلمى

1_ ظروف إنتاج المعلقة

2_ بنية المعلقة

3_ عناصر السياق في المعلقة

أ_ المنتج

ب_ المتلقي

ج_ الموضوع

د_ الإطار الزمكاني

هـ_ الهدف

عناصر السّياق في معلقة زهير بن أبي سُلمى:

كان فيما أثر من أشعار العرب، ونقل إلينا من تراثهم الأدبي الحافل بضع قصائد من مطوّلات الشعر العربي، وكانت من أدقّه معنى، وأبعده خيالاً، وأبرعه وزنا، وأصدقه تصويراً للحياة الّتي كان يعيشها العرب في عصرهم قبل الإسلام، ولهذا عدّها النّقاد والرواة قديما قمّة الشعر العربي وقد سميّت ب"المطولات"، وأمّا تسميتها المشهورة فهي "المعلقات"، وهذه الأخيرة هي عبارة عن قصائد جاهلية نفيسة وأصيلة التعبير بلغ عددها سبع قصائد أو عشر على اختلاف بين الرواة.

والمعلقة الّتي جعلناها محلّ دراستنا هذه في إطار اكتشاف عناصر السياق داخلها هي معلقة "زهير بن أبي سُلمى".

1_ ظروف إنتاج المعلقة:

قبل الولوج إلى تحديد عناصر السياق في المعلقة ارتأينا الإشارة إليها ، وذلك لأنّ هذه المعلقة قد أخذت حظاً أوفر من الدراسة من طرف الشّراح والنّقاد، وليس هناك من مصدر أو كتاب في تاريخ الأدب أو في الشعر والشعراء إلّا وقد ذكر فيه "زهير" على أنّه:« شاعر الحكمة و السلام، والمحذر دائما من الحرب وويلاتها، الدّاعي إلى الأخوة والتصالح والتسامح بين القبائل... وقد حفلت معلقته الشهيرة بالحكمة، والحث على الخير، وصبر أغوار النّفس البشرية وبيان نوازعها وتوجهاتها بنفس إيماني ».[1]

[1]_ عبد عون الروضان، موسوعة شعراء العصر الجاهلي، دار أسامة، ط3، الأردن، 2009، ص133.

وقد جاءت معلقة "زهير" بمطلع "أَمِنْ أُمِّ أَوْفَى..."، وبلغت عدد أبياتها في رواية الأنباري تسعة وخمسون (59) بيتًا، وفي رواية الزوزني أربعة وستون(64) بيتًا، وفي رواية التبريزي ثلاثة وستون (63) بيتًا، أمّا فيما يخص بحر المعلقة، فهو "بحر الطويل".

أمّا مناسبة نظم "زهير" لمعلقته هاته، فيعود إلى: «الحرب الّتي دارت رحاها بين عبس وذبيان بسب سباق داحس فرس قيس بن زهير سيّد بني عبس، والغبراء حمل بن بدر سيّد بني فزار من غطفان، فأراد زهير من وراء نظم معلقته أن يمدح المصلحين "هرم بن سنان" و "الحارث بن عوف" ويحذر الفريقين من شرّ الخيانة و إضمار الحرب».[1]

فالظروف التي ساعدت الشاعر "زهير" على إنتاج هذه المعلقة هي الحرب التي قامت بين القبيلتين(عبس و ذبيان).

2_ بنية المعلقة:

لم تخرج معلقة "زهير بن أبي سُلمى" عن عادة الشعراء الجاهليين، بحيث تضمنت الأغراض الشعرية الّتي عرفها الشعر العربي وخاصّة الشعر الجاهلي، والّذي يعدّ العصر الّذي تأسست فيه هذه الأغراض، إذ إنّها كانت تعبر بصدق ودّقة عن حياتهم الاجتماعية والسياسية والثقافية من غير تكلّف وتصنّع.

ولذا فقد تنوعت الأغراض الشعرية في الشعر الجاهلي، وتشعبت فنونه، فظهر الوصف والغزل والفخر والمدح، والهجاء والرثاء، والحماسة، والاعتذار والحكمة.

[1] _ أبو عبد اللّه الحسين بن أحمد الزوزني، شرح المعلقات السبع، تح: طلال أحمد، دار الكتاب الحديث، ط1 ،1423هـ-2002م،ص70.

أ- البنى الصغرى: الوصف

نجد "زهير" كغيره من الشعراء الجاهليين استهل معلقته بالمقدمة الطللية الّتي تندرج ضمن غرض الوصف، فهي من موضوعات الوصف الّتي تناولها الشاعر في العصر الجاهلي بحيث تتمحور حول الأمور التالية:

« وصف الطلل: حيث يأتي الشاعر لزيارة محبوبته في ضرب أهلها، فيجدها قد ارتحلت إليهم إلى مضرب آخر.

وصف الطبيعة: وفيه يكون الوصف حول (الحيوان، والوديان، والشجر...إلخ)، وكذا وصف المعارك.»[1]

ويتجلّى غرض الوصف في معلقة "زهير" من البيت(الأول) إلى البيت (الخامس عشر).

- المدح:

إنّ غرض المدح من أكثر الأغراض شيوعا لدى الشعراء، لما له من علاقة بالمجتمع الجاهلي وما بعده، و يعدّ هذا الغرض الموضوع الرئيس الّذي انبنت عليه معلقة "زهير"، وذلك في مدح "هرم بن سنان" و "الحارث بن عوف". وكما يُعرَف عن المدح أنّه يتمحور حول الثناء على إنسان بذكر أفضاله، وتعداد أخلاقه الكريمة، وخصاله العظيمة.

ولذا نرى "زهير" قد مدح وأثنى على "هرم والحارث" اللّذان أخمدا نار الحرب بين قبيلتي "عبس وذبيان".

[1]- قصي الحسين، شعر الجاهلية وشعراؤها، منشورات المكتبة الحديثة، ط1، لبنان، 2006، ص323.

ويظهر غرض المدح في المعلقة من البيت (السادس عشر) إلى البيت (الثامن والعشرون).

ويقوم "زهير" بتحذير بني عبس من أخطار الحرب، ووصف أهوالها وتبيين نتائجها.

وذلك يتجلى في الأبيات المحصورة بين (التاسع والعشرون) و(الخامس والثلاثون).

ويقوم بالاعتذار عن بني ذبيان وذكر حصين بن ضمضم، ونجد ذلك ابتداء من البيت (السادس والثلاثون) إلى غاية البيت (السابع والأربعون).

- **الحكمة:**

يعتبر غرض الحكمة ثمرة استمدّها الشاعر أو الحكيم العربي من تجارب الحياة اليومية وما يعانيه في ذاته ومجتمعه، وهي بمثابة الدرس القويم الّذي تلقّنه إيّاه الأيّام واللّيالي بحلوها ومرّها بسرائها وضرائها، جميلها وقبيحها، وذلك لأنّ حياتهم القبلية كانت تحتاج إلى أناس يمتازون براحة العقل وعمق النظر، ليفصلوا في المنازعات والمناوشات الّتي كثيرا ما تثور بينهم.

ومفاد حكمة الجاهليين أنّ الحياة ميدان ملاذ وكرامة، وأنّ الحق فيها للقوة، وأنّ زينة المرء شرفه فإذا تأملتها وجدتها في غالب الأحيان حكمة علمية ينصبُّ اهتمامها على تنظيم الحياة البشرية في الدنيا وتقديم العون والنّصح للنّاس لتنظيم أمورهم المعيشية والصحية.

فنجد الحكمة قد تجسدّت في معلقة "زهير" ، وقد عُرف عنه بأنّه الشاعر الحكيم، المحب للسلم والخير، الماقت للحروب.

وقد تجلّى هذا الغرض من البيت (الثامن والأربعون) إلى البيت (الرابع والستون).

3- عناصر السياق في معلقة "زهير بن أبي سُلمى":

أ- المنتج:

هو: « زهير بن أبي سُلمى ربيعة بن رياح بن قُرَّة، بن الحارث بن مازن بن ثعلبة بن ثور بن هرمة بن الأصم بن عثمان بن عمرو بن أد بن طابخة إلياس بن مضر بن نزار، واد في نجد (الحجاز كما تعرف اليوم)، في منازل بني عبد اللّه بن غطفان الّذين كان أبوه قد نزل بهم وانضم إليهم، فظنّ البعض أنّه منهم».[1]

فزهير شاعر من الشعراء الجاهليين، ومن أصحاب المعلقات السبع أو العشر المشهورة. وقد «نشأ في غطفان واستقى الشعر والحكمة والترصن عن "بشامة" خال أبيه، كما تلقّن كذلك على يد زوج أمه "أوس بن حجر"، فعمد زهير طريقته في الشعر وقد كان زهير موروثا بالجينات، قال ابن قتيبة: " ...أحد فحول الجاهلية، ما اتّصل في ولد زهير، كان أبوه شاعراً وهو شاعر وخاله شاعر وأخته سُلمى والخنساء شاعرتان، وابناه كعب وبحير شاعران، وبن ابنه المضرّب شاعرا ».[2]

فيعدّ "زهير" شاعر الحكمة الّتي كانت وليدة عقله الهادئ، والّذي يفصل الحكم في أسلوب تعليمي عام موجّه إلى كلّ إنسان يريد أن يعيش جاهلية مثلى يسود فيها السلام.

فسميّ بذلك "حكيم الجاهلية"، وقد كان رجل العقل، ماقتا للحروب والمنافسات القبلية، داعيا إلى تنزيه النّفس عن الأحقاد والمناوشات الّتي تفتح باب الغزو والنّزاع.

---

[1]- ابن زكرياء يحيى بن علي التبريزي، شرح المعلقات العشر، تح: محمد شحاتة إبراهيم، الناشر الفيصلية، المملكة العربية السعودية، 1425هـ-2005م، ص119.

[2]- أبي عبد الله الحسن بن أحمد الزوزني، شرح المعلقات السبع، دار الجيل، ط1، لبنان، 2005، ص75.

وقد «تزوّج "أمّ أوفى" الّتي سماها بعض المؤرخين "أم عوف"، فرُزق منها أولادا ماتوا صغاراً كما تزوّج امرأة ثانية من غطفان أيضاً هي أم كعب وبحير وسالم، تدعى" كبشة بنت عمار" ».[1]

ومن هنا فقد استهل "زهير" معلقته بذكر "أمّ أوفى" الّتي هي زوجته.

كما كان زهير« المثل الأعلى للعطاء، تراه أبدا متهلل الوجه، محباً للنّاس، نافعا لهم، وهو لكثرة معروفه وسعة إفضاله، يغني سائله...يرحّب بمن يأتيه سائلاً يكاد يجود بنفسه...وعليهم بمفاضل الكلام ومقاطعه إذ يهتدي إليه الآخرون».[2]

وقد عاش زهير« في سَعَةٍ من المال، وكان وقوراً نبيلاً، ولعلّ ذلك جعل شعره خالياً من الفحش، ويبدو أنّه كان يؤمن باليوم الآخر وما فيه من عقاب وثواب...كان خلال حياته شاعرا جيّدا...أنّ الشعر الجاهلي لم يعرف شاعراً عُني بتنقيحه وغربلته كما فعل زهير، ولذلك سميّت قصائده بالحوليات».[3] وهذا ما يدل على الجهد العظيم، والتجويد الكبير، والعناية الفائقة الّتي كان يبذلها زهير في شعره.

ب- المتلقي:

يعدّ المتلقي عنصرًا مهماً في إنتاج أي عمل أدبي سواء كان مقصودا أم خياليا، وفي هذه المعلقة نجدها قد اشتملت عليهما معاً، بحيث يتمثل المتلقي المقصود في كل من "الحارث بن عوف" و "هرم بن سنان".

---

[1]- قصي الحسين، شعر الجاهلية وشعراؤها، ص207.

[2]_ علي عافور، ديوان زهير بن أبي سُلمى، دار الكتب العلمية،، ط3، لبنان ،2003م، ص8.

[3]_ الزوزني، شرح المعلقات السبع، ص69.

- الحارث بن عوف:

وهو الحارث بن عوف بن أبي حارثة بن مُرَّة بن نشبة بن غيظ بن عوف بن سعد بن ذبيان بن بغيض بن ريث بن غطفان، الغطفاني، ثمّ الذبياني، ثمّ المُرِي، قدِم على رسول الله صلى الله عليه وسلم فأسلم، وهو صاحب الحمالة في حرب داحس والغبراء.

- هرم بن سنان:

وهو هرم بن سنان بن أبي الحارثة المُرِي، من مُرة بن عوف بن سعد بن ذبيان، من أجواد العرب في الجاهلية يُضرب به المثل، «اشتهر هو وابن عمه "الحارث بن عوف" بدخولهما في الإصلاح بين عبس وذبيان، واحتملا من مالهما ديات القتلى فبلغت مائة(100) بعير».[1]

والعلاقة الّتي تربط بين "زهير" وبين "الحارث" و "هرم"، تتمثل في أنّه كان مادحا لهما، وكانا ممدوحي زهير.

ونجد زهير قد وجّه كلامه لكلّ من "الحارث" و "هرم" في الأبيات التالية:

البيت الثامن عشر: يَمِيناً لَنِعْمَ اَلْسَّيِّدَانِ وُجِدْتُمَا عَلَى كُلِّ حَالٍ مِنْ سَحِيلٍ وَمُبْرَمِ

في هذا البيت يقول "زهير": «حلفت يميناً، أي حلفت حلفاً، نعم السّيّدان وُجدتما على كلّ حال ضعيفة وحالٍ قوية، لقد وجدتما كاملين مستوفيين لخلال الشرف في حال يحتاج فيها إلى ممارسة الشدائد وحال يفتقر فيها إلى معاناة النوائب ، وأراد بالسّيّدين هرم بن سنان والحارث بن عوف مدحهما لإتمامهما الصلح بين عبس وذبيان وتحملّهما أعباء ديات القتلى».[2]

---

[1] _ الزوزني، شرح المعلقات السبع، ص70.

[2] _ المرجع نفسه، ص85.

البيت التاسع عشر: تَدَارَكْتُمَا عَبْساً وذُبْيَانَ بَعْدَمَا تَفَانَوْا وَدَقُّوا بَيْنَهُمْ عِطْرَ مَنْشَمِ

فهنا يريد "زهير" أن يقول: «تلافيتما أمر هاتين القبيلتين بعدما أفنى القتال رجالهما وبعد دقّهم عطر هذه المرأة، أي يعدّ إتيان القتال على آخرهم كما أتى على آخر المتعطرين بعطر منشم».[1]

البيت العشرون: وَقَدْ قُلْتُمَا: إِنْ نُدْرِكَ السِّلْمَ وَاسِعاً بِمَالٍ وَمَعْرُوفٍ مِنَ القَوْلِ نَسْلَمِ

فهنا يريد "زهير" أن يقول: «وقد قلتما: إن أدركنا الصلح واسعاً، أي إن اتّفق لنا إتمام الصلح بين القبيلتين ببذل المال وإسداء المعروف من الخير سلِمنا من تفاني العشائر».[2]

البيت الواحد والعشرون: فَأَصْبَحْتُمَا مِنْهَا عَلَى خَيْرَ مَوْطِنٍ بَعِيدَيْنِ فِيهَا مِنْ عُقُوقٍ وَمَأْثَمِ

أراد "زهير" أن يقول في هذا البيت: «إنّكما طلبتما الصّلح بين العشائر، ببذل الأعلاق وظفرتما به وبعدتما عن قطيعة الرحم».[3]

البيت الثاني والعشرون: عَظِيمَيْنِ فِي عُلْيَا مَعَدٍّ هُدِيتُمَا وَمَنْ يَسْتَبِحْ كَنْزاً مِنَ المَجْدِ يَعْظُمِ

يقول "زهير" في هذا البيت: «ظفرتما بالصّلح في حال عظمتكما في الرتبة العليا من شرف معد وحسبها، ثمّ دعا لهما فقال: هديتما إلى طريق الصّلاح والنّجاح والفلاح، ثمّ قال: ومن وجد كنزاً من المجد مباحاً واستأصله عظُم أمره أو عظُم فيما بين الكرام».[4]

أمّا المتلقي الخيالي فنجد "زهير" في:

البيت السادس: فَلَمَّا عَرَفْتُ الدَّارَ قُلْتُ لِرِبْعِهَا: أَلَا انْعِمْ صَبَاحاً أَيُّهَا الرِّبْعُ وَاسْلَمِ

---

[1] _ الزوزني، شرح المعلقات السبع ، ص76.

[2] _ المرجع نفسه، ص76.

[3] _ المرجع نفسه، ص76.

[4] _ المرجع نفسه، ص76.

إذ يوجّه كلامه مجازاً إلى (الرِّبع) حيث يقول: «انْعم صباحاً أي أنعمت صباحاً، أي طاب عيشك في صباحك، من النّعمة وهي طيب العيش».[1]

ج- الموضوع:

يتمحور الموضوع الأساسي لمعلقة "زهير بن أبي سُلمى" حول مدح "هرم بن سنان" و "الحارث بن عوف" وكيف ساهما في قيام الصّلح والسِّلم بين المتحاربين "قبيلتي عبس وذبيان".

أمّا المواضيع الّتي دارت حولها المعلقة، فقد تعددت بحكم تميز الشعر الجاهلي بخاصية تعدد الأغراض والفنون الشعرية الّتي تحملها القصيدة. وجاءت معلقة "زهير" من حيث المواضيع الّتي تضمنّتها على النحو الآتي:

بدأ "زهير" المعلقة بالحديث عمّا آلت إليه ديار الحبيبة، فقد هجرها منذ عشرين عاماً، فأصبحت دِمْناً باليةً، وآثارها خافتةً، ومعالمها متغيّرةً، فلمّا تأكّد منها هتف محيياً ودعا لها بالنّعيم:

أُمٍّ أَوْفَـــى دِمـنَةٌ لَمْ تَـكَلَّـــــــمِ بِحَوْمَانَـــــةِ الدَّرَّاجِ فَالـمُتَثَلَّـــــمِ

وَقَفْتُ بِهَا مِنْ بَعْدِ عِشْرِينَ حِـجَّةً فَلَأْيًا عَرَفْتُ الدَّارَ بَعْدَ تَوَهـــــمِ

فَلَمَّـــا عَرَفْتُ الدَّارَ قُلْتُ لِرِبْعِـــهَا أَلَا انْعِمْ صَبَاحاً أَيُّهَا الرِّبْعُ وَاسْلَـمِ

ثمّ عاد بالذاكرة إلى الوراء يسترجع ساعة الفراق، ويصف النساء الّلاتي ارتحلن عنها، فيتّبعهنّ ببصره كئيباً حزيناً، ويصف الطريق الّتي سلكْنها، والهوادج الّتي كنّ فيها:

بَكِرْنَ بُكُوراً وَاسْتَحَرْنَ بِسُحْرَةٍ فَهُنَّ وَوَادِي الرَّسِّ كَاليَدِ لِلْفَمِ

[1] _ الزوزني، شرح المعلقات السبع ، ص72.

جَعَلْنَ القَنَانَ عَنْ يَمِينٍ وحَزْنَـــــهُ وَكَمْ بِالقَنَانِ مِنْ مُحَلٍّ وَمُحْـــــرِمِ

فَلَمَّا وَرَدْنَ المَاءَ زُرْقًا جِمَامُـــــهُ وَضَعْنَ عَصِيِّ الحَاضِرِ المُتَخَـيَّمِ

وَفِيهِنَّ مَلْهىً لِلَّطِيفِ وَمَنْظَـــرٌ أَنِيقٌ لِعَيْنِ النَّاظِرِ المُتَوَسَّـــــمِ

وكأنّه حين وصل إلى هذا المنظر الجميل الفتّان، سبح به خاطره إلى جمال الخلق وروعة السلوك، وإلى حبّ الخير والتضحية في سبيل الأمن والاستقرار، فشرع يتحدّث عن الساعين في الخير، الدّاعين إلى الإخاء والصّفاء، فأشاد بشخصين عظيمين هما: هرم والحارث، وذلك لموقفهما النبيل في إطفاء نار الحرب بين "عبس وذبيان"، وتحمّلهما ديات القتلى من مالهما:

سَعَا سَاعِياً غَيْظ بِنْ مُرَّة بَعْدَمَـــا تَبَزَّل مَا بَيْنَ العَشِيرَة بالـــــدَّمِ

فَأَقْسَمْتُ بِالبَيْتِ الَّذِي طَافَ حَوْلَـهُ رِجَالٌ بَنَوهُ مِنْ قُرَيْشٍ وَجُرْهُـــمِ

يَمِيناً لَنِعْمَ السَّيِّدَانِ وُجِدْتُـمَـــــا عَلى كُلِّ حَالٍ مِنْ سَحِيلٍ وَمُبْرَمِ

تَدَارَكْتُمَا عَبْساً وَذُبْيَانَ بَعْـدَمَـــا تَفَانُوْا وَدَقُّوا بَيْنَهُمْ عِطْرَ مَنْشَـــمِ

وَقَدْ قُلْتُمَا: إِنْ نُدْرِكِ السِّلْمَ وَاسِعـــاً بِمَالٍ وَمَعْرُوفٍ مِنَ القَوْلِ نَسْلَـــمِ

ثمّ وجّه كلامه إلى الأحلاف المتحاربين قائلا: هل أقسمتم أن تفعلوا ما لا ينبغي؟ لا تظهروا الصّلح، وفي نيّتكم الغدر: لأنّ اللّه سيدخره لكم ويحاسبكم عليه إن عاجلاً أو آجلاً، فيقول:

أَلَا أَبْلِغِ الأَحْلَافَ عَنِّي رِسَالَـــةً وَذُبْيَانَ هَلْ أَقْسَمْتُمْ كُلَّ مُقْـــسَـــمِ

فَلَا تَكْتُمُنَّ اللهَ مَا فِي صُدُورِكُـمْ لِيَخْفَى وَمَهْمَا يُكْتَمِ اللهَ يَعْـــلَـــمِ

يُؤَخَّرُ فَيُوضَعْ فِي كِتَابٍ فَيُدَّخَـرْ لِيَومِ الحِسَابِ أَوْ يُعَجَّلْ فَيَنْـــقَـــمِ

ثمّ انتقل من مجال النّصح والتوجيه وتأكيد السلام، إلى مجال الحكمة الإنسانية العامة، حكمة الرجل المجرّب للحياة، الّذي ذاقها وخبرها وعاش في خضمّها، ثمّ امتد به العمر فزهدها وانصرف عنها، قائلاً:

وَمَنْ يَكُ ذَا فَضْلٍ فَيَبْخَلْ بِفَضْلِـــــــهِ عَلَى قَوْمِهِ يُسْتَغْنَ عَنْهُ وَيُـــذْمَـــمِ

وَمَنْ يَجْعَل المَعْرُوفَ مِنْ دُونِ عِرْضِهِ يَفِرْهُ وَمَنْ لَا يَتَّقِ الشَّتْمَ يُشْـــتَـــمِ

سَئِمْتُ تَكَالِيفَ الحَيَـــــاةِ وَمَنْ يَـعِشْ ثَمَانِينَ حَوْلاً لَا أَبَـــا لَكَ يَسْـــأَمِ

وَمَنْ لَا يَذُدْ عَنْ حَوْضِـــهِ بِسِلَاحِـــهِ يُهَدَّمِ وَمَنْ لَا يَظْلِمْ النَّاسَ يُظْـلَـمِ

ويختم "زهير" معلقته بتأكيد معروف الممدوحين عليه، فسألهم فلم يردّوه وعاد فعادوا إلى النوال والعطاء، فيقول:

سَأَلْنَـا فَأَعْطَيْتُمْ وَعُدْنَـــا فَعُدْتُـــــمُ وَمَنَ أَكْثَرِ التِسْآلَ يوماً سَيُحْـــرَمِ

وَأَعْلَمُ مَـــا فِي اليَوْمِ وَالأَمْسِ قَبْلَـــــهُ وَلَكِنَّنِي عَنْ عِلْمِ مَا فِي غَدٍ عَمِى

د- الإطار الزمكاني:

هناك إحالة بين الزمان والمكان في المعلقة، ونجد أنّهما مرتبطان ارتباطا شديداً لدرجة أنّه يستحيل تناول أحدهما دون الآخر.

- الزمان:

يشكّل الزمان ركيزة أساسية في خلق أو إنتاج أي عمل أدبي، فيعود الزمان العام الّذي قيلت فيه معلقة "زهير بن أبي سُلمى" إلى زمن إحدى حروب الجاهلية، الّتي كانت بين قبيلتي "عبس وذبيان" ، والّتي تسمى حرب "داحس والغبراء".

تعدّ حرب "داحس والغبراء" من أوسع وأشهر حروب العرب الّتي عرفها تاريخهم الجاهلي والقصة من بدايتها هو أنّ: قس العبسي بن عبس وحمل الذبياني من بني ذبياني فقد تجادلا حول أيّ الخيلين أسرع وأقوى: الحصان (داحس) أم الفرس (الغبراء)، فاتّفقا على إجراء سباق ورهان على ذلك وأيّ الخيلين يسبق ليفوز صاحبه بمئة بعير، فقاما للتحضير لذلك ووضعا شروط ومكان ومسافة السباق، وكانت المسافة الّتي تستغرق هذا السباق هي لعدة أيام تقطع خلالها الفرس والحصان شعاب صحراوية كثيرة وغابات.

وقبل السباق كان الغش والغدر من "حمل بن بدر الذبياني" صاحب الفرس "الغبراء" ، إذ إنّه أوعز لأفراد من قبيلته أن يذهبوا بعيدا ويختبؤوا في تلك الشعاب، قائلاً لهم: إذا وجدتم "داحس" متقدما على "الغبراء" في السباق فردّوا وجهه وأخرّوه وخوّفوه كي تسبقه "الغبراء" فلمّا فعلوا ذلك أي نصبوا لداحس وفارسها كمينا مرعبا سقط داحس أرضاً وتأخر فترة عن السباق ففازت "الغبراء" في السباق ووصلت نهاية السباق قبل "داحس".

وحينما انكشف الأمر بعد ذلك وعرفت الخديعة الّتي تعرّض لها "داحس" وصاحبه "قيس العبسي" اشتعلت نار الفتنة بين قبيلتي "عبس وذبيان"، فتطاول "حذيفة الذبياني" على قيس العبسي" ، فهجم "قيس العبسي" على "حذيفة" فأراده قتيلاً، فثارت قبيلة "ذبيان" على "قبيلة "عبس" وقتلوا منهم "مالك العبسي" وهو شقيق "قيس العبسي" .

وهكذا امتدت نار الفتنة وبدأت الحرب بين قبيلتي "عبس وذبيان"، ودامت هذه الحرب مدة(40) سنة، حيث أظهرت القدرات الشعرية والقتالية لكل من شعراء وفرسان ذلك الوقت.

أمّا ورود عنصر الزمان داخل المعلقة، فنجد "زهير" قد استعمله فيما يأتي:

البيت الرابع: وَقَفْتُ بِهَا مِنْ بَعْدِ عِشْرِينَ حِجَّـــةً فَلَأْيًا عَرَفْتُ الدَّارَ بَعْدَ تَوَهُّمِ

وما يدّل هنا على عنصر الزمان هو (عشرين حجّة)، وما قصده هنا "زهير بأنّه قال: «وقفت بدار أمّ أوفى بعد مضي عشرين سنة من بينها، وعرفت الدّار بعد توهّم بمقاساة جهد ومعاناة مشقة، يريد أنّه لم يثبتها إلّا بعد جهدٍ ومشقة لبعد العهد بها ودروس أعلامها».[1]

البيت السادس: فَلَمَّا عَرَفْتُ الدَّارَ قُلْتُ لِرَبْعِهَا أَلَا انْعِمْ صَبَاحاً أَيُّهَا الرَّبْعُ وَاسْلَمِ

يتمثّل عنصر الزمان في كلمة (صباحا)، وما أراد به "زهير" هنا أنّ: «وقوفه بدار أمّ أوفى فقال لها محييا إيّاها وداعياً لها: طاب عيشك في حياتك وسلمت».[2]

البيت السادس والخمسون: سَئِمْتُ تَكَالِيفَ الحياةِ وَمَنْ يَعِشْ ثَمَانِينَ حَوْلاً لَا أَبا لَكَ يَسْأَمِ

يظهر عنصر الزمان في هذا البيت في (ثمانين حولاً)، ويقصد هنا "زهير" بأنّه: « ملّ مشاق الحياة وشدائدها، ومن عاش ثمانين سنة ملّ الكِبر لا محالة».[3]

البيت الثالث والستون: وَأَعْلَمُ مَـــا فِي اليَوْمِ وَالأَمْسِ قَبْلَـهُ وَلَكِنَّنِي عَنْ عِلْمِ مَا فِي غَدٍ عَمِى

[1]- الزوزني، شرح المعلقات السبع، ص72.
[2]- المرجع نفسه، ص73.
[3]- المرجع نفسه، ص82.

يتجلّى عنصر الزمان في هذا البيت في(اليوم) و(الأمس)، فأراد "زهير" بقوله هذا أنّ: « قد يحيط علمي بما مضى وما حضر، ولكنّي عميٌ القلب عن الإحاطة بما هو منتظر متوقع ».[1]

- المكان:

يعدّ المكان عنصراً جوهرياً من عناصر بناء القصيدة وتجلياتها البيئية، وبالأخص عند الشاعر الجاهلي الّذي نراه كما رآه غيرنا ابن بيئته.

أمّا عن المكان العام الّذي وردت فيه معلقة "زهير بن أبي سُلمى" فيتمثل في قبيلته ، الّتي كان يعيش فيها، والّتي تُعرف « قبيلة مزينة الّتي كانت تجاور قبيلة غطفان في حاجز بنجد شرق المدينة المنورة، وقد كانت تعبد العزى في الجاهلية».[2]

وفيما يخصّ المكان داخل المعلقة، فإنّنا نجد "زهير" قد ذكر عدة أماكن ويظهر ذلك في:

البيت الأول: أَمِنْ أُمِّ أَوْفَى دِمْنَةٌ لَمْ تَكَلَّـــمِ بِحَوْمَانـةِ الدَّرَّاجِ فَالمُتَثَلَّـــــمِ

يتجسّد عنصر المكان هنا في (دمنة وتعني: آثار الدّار) و (حومانة الدّرّاج والمتثلّم ويعنيان: موضعان)، ويعني هنا "زهير": « أمن منازل الحبيبة المكناة بأم أوفى لا تجيب سؤالها بهذين الموضعين، أخرج الكلام في معرض الشك ليدّل بذلك على أنّه لبعده عهده بالدمنة وفرط تغيّرها لم يعرفها معرفة قطعٍ وتحقيقٍ ».[3]

البيت الثاني: وَدَارٌ لَهَـا بِالرَّقْمَتَيْنِ كَأَنَّهَـا مَرَاجِيعُ وَشْمٍ فِي نَوَاشِرِ مِعْصَـم

---

[1]- الزوزني، شرح المعلقات السبع ، ص82.

[2]-حمدو طمّاس، ديوان زهير بن أبي سُلمى، دار المعرفة، ط2، بيروت، لبنان، 2005، ص5.

[3]- الزوزني، شرح المعلقات السبع، ص71.

يشار هنا إلى عنصر المكان من خلال (الرقمتين وتعني: حارتان إحداهما قريبة من البصرة والأخرى قريبة من المدينة)، فيقصد "زهير" أنّ: « أمن منازلها دارٌ بالرقمتين؟ يريد أنّها تحل الموضعين عند الانتجاع ولم يرد أنّها تسكنهما جميعاً لأنّ بينهما مسافة بعيدة ».[1]

البيت السابع: تَبَصَّرْ خَلِيلِي هَلْ تَرَى مِنْ ظَغَائِنٍ تَحَمَّلْنَ بِالعَلْيَاءِ مِنْ فَوْقِ جُرْثُـــمِ

يظهر عنصر المكان في هذا البيت في (العلياء وتعني: الأرض المرتفعة)، ويقصد هنا "زهير": « انظر يا خليلي هل ترى بالأرض العالية من فوق هذا الماء نساءً في هوادج على إبل؟ يريد أنّ الوجد برح به والصبابة ألحت عليه حتّى ظنّ المحال لفرط ولهه، لأنّ كونّهن بحيث يراهن خليله بعد مضي عشرين سنة محال ».[2]

هـ - الهدف و الغاية:

كان "زهير بن أبي سُلمى" يهدف من وراء معلقته إلى:

- مدح المُصْلِحَيْنِ اللّذين قاما بالصّلح بين قبيلتي "عبس و ذبيان" وهما : "هرم بن سنان" و "الحارث بن عوف"، وذلك بذكر محاسنهما وصفاتهما الحميدة.

- نصح المتصالحين وتحذيرهم من شر الخيانة وإضمار الحرب، وذلك من خلال وصف أهوال الحرب وويلاتها، وكذا نتائجها المشؤومة.

- الاعتذار عن قبيلة ذبيان، وذلك من خلال ذكر قصة "حصين بن ضمضم.

- تقديم جملة من الحكم والأمثال وذلك من أجل الاعتبار بها و الامتثال لها.

---

[1] - الزوزني، شرح المعلقات السبع ، ص71.

[2] - االمرجع نفسه، ص73.

خاتمة

خاتمـــة:

بعد انتهاءنا من هذه الدراسة كما بدت في هذه الصورة ، والتي كان محور دراستنا فيها هو السياق وعناصره في أحد المعلقات العشر ، وتحديدا في معلقة "زهير بن أبي سُلمى" ، فكانت فضاءً واسعا تجسدت فيها مختلف عناصر السياق (المنتج ، المتلقي ، الموضوع ، الزمان والمكان ، والهدف).

توصلنا إلى مجموعة من النتائج نجملها فيما يلي:

1- السياق عنصر في غاية الأهمية ، وتكمن هذه الأهمية في الوصول إلى كشف المعنى وإيضاحه.

2- يتجذر مفهوم السياق من أصول عربية ، فنجده عند البلاغيين قد أخذ مجرى آخر يتجاوزه من ماهو لغوي إلى ما يحيط به من ملابسات وظروف خارجية.

3- لقد عبر التراثيون العرب عن مصطلح السياق بالمقام ومقتضى الحال وهذا ما يتجلى عند الجاحظ وغيره من البلاغيين.

4- استعان المفسرون بالسياق بغية الوصول لهدفهم، وذلك من أجل تحديد معاني آيات القرآن الكريم فيما بينها، وأسباب نزولها بهدف توضيح وتبيان غرض آياته.

5- يلعب السياق دورا هاما في الربط بين المتلقي و المنتج ، فيجعل المنتج يستعمل آليات مناسبة من أجل نجاح العملية التواصلية بين كلٍّ منهما، فالسياق يضبط فهم المتلقي لمراد المنتج.

6- تعدّ الحكمة الجاهلية كغيرها من الحكم دليل على رقي عقلية الشعراء ، وسداد تفكيرهم ، ومدى فهمهم لقضايا الحياة آنذاك، وقد عُرف "زهير" على أنّه حكيم الجاهلية أو الشاعر الحكيم ، كما عُرف عليه أيضا أنّه كان ناصحاً للخير والسلام.

7- التحام عناصر السياق فيما بينها في معلقة "زهير بن أبي سُلمى" ، فشملت على المنتج، وعلى المتلقي وارتباطه بالمنتج ، واشتماله على الموضوع الذي تدور حوله هذه المعلقة ، وحضور عنصري الزمان والمكان وتعلق كلّ واحد منهما بالآخر.

ملحق الدراسة

معلقة "زهير بن أبي سُلمى":

1-«أَمِنْ أُمِّ أَوْفَى دِمْنَةٌ لَـمْ تَكَلَّـــــــمِ بِحَوْمَانـــــــةِ الدَّرَّاجِ فَالمُتَثَلَّـــــمِ

2-وَدَارٌ لَهَـا بِالرَّقْمَتَيْنِ كَأَنَّهَـــــــا مَرَاجِيعُ وَشْمٍ فِي نَوَاشِرِ مِعْصَـــــمِ

3-بِهَا العِيْنُ وَالأَرَآمُ يَمْشِينَ خِلْفَـــــةً وَأَطْلَاؤُهَا يَنْهَضْنَ مِنْ كُلِّ مَجْثَـــمِ

4-وَقَفْتُ بِهَا مِنْ بَعْدِ عِشْرِينَ حِجَّـــةً فَلَأْيًا عَرَفْتُ الدَّارَ بَعْدَ تَوَهُّـــــمِ

5-أَثَافِيَّ سُفْعاً فِي مُعَرَّسِ مِرْجَـــــلٍ وَنُؤْيًا كَجَذْمِ الحَوْضِ لَمْ يَتَثَلَّـــــمِ

6-فَلَمَّا عَرَفْتُ الدَّارَ قُلْتُ لِرَبْعِـــــهَا أَلَا انْعِمْ صَبَاحاً أَيُّهَا الرَّبْعُ وَاسْلَـــمِ

7-تَبَصَّرْ خَلِيلِي هَلْ تَرَى مِنْ ظَعَائِنٍ تَحَمَّلْنَ بِالعَلْيَاءِ مِنْ فَوْقِ جُرْثُـــــمِ

8-جَعَلْنَ القَنَانَ عَنْ يَمِينٍ وَحَزْنَـــــهُ وَكَمْ بِالقَنَانِ مِنْ مُحِلٍّ وَمُحْـــــرِمِ

9-وَعَلَوْنَ بِأَنْمَاطٍ عِتَاقٍ وَكِلَـــــةٍ وِرَادٍ حَوَاشِيهَا مُشاكهـــة الـــدَّمِ

10-ظَهَرْنَ مِنَ السُّوبَانِ ثُمَّ جَزَعْنَـــهُ عَلَى كُلِّ قَيْنِيٍّ قَشِيبٍ وَمُفْـــــأَمِ

11-وَوَرَّكْنَ فِي السُّوبَانِ يَعْلُونَ مَتْنَـهُ عَلَيْهِنَّ دَلُّ النَّاعِمِ المُتَنَعَّـــــمِ

12-كَأَنَّ فُتَاتَ العِهْنِ فِي كُلِّ مَوْقِفٍ وَقَفْنَ بِهِ حبُّ الفَنَا لَمْ يُحَطَّـــــمِ

13-بَكِرْنَ بُكوراً وَاسْتَحَرْنَ بِسُحْـــــرَةٍ فَهُنَّ وَوَادِي الرَّسِّ كَاليَدِ فِي الفَـــمِ

14-فَلَمَّا وَرَدْنَ المَاءَ زُرْقاً جِمَامُـــهُ وَضَعْنَ عِصِيَّ الحَاضِرِ المُتَخَيِّـــمِ

15-وَفِيهِنَّ مَلْهىً لِلَّطِيفِ وَمَنْظَـــــرٌ أَنِيقٌ لِعَيْنِ النَّاظِرِ المُتَوَسَّـــــــمِ

16-سَعَا سَاعِياً غَيْظ بِنْ مُرَّة بَعْدَمَـــــا تَبَزَّل مَا بَيْنَ العَشِيرَة بالـــــــدَّمِ

17-فَأَقْسَمْتُ بِالبَيْتِ الَّذِي طَافَ حَوْلَـهُ رِجَالٌ بَنَوهُ مِنْ قُرَيْشٍ وَجُرْهُـــمِ

18-يَمِيناً لَنِعْمَ السَّيِّدَانِ وُجِدْتُـــمَـــــــا عَلى كُلِّ حَالٍ مِنْ سَحِيلٍ وَمُبْرَمِ

19-تَدَارَكْتُمَا عَبْساً وَذُبْيَانَ بَعْـدَمَـــــا تَفَانُوْا وَدَقُّوا بَيْنَهُمْ عِطْرَ مَنْشَـــمِ

20-وَقَدْ قُلْتُمَا: إِنْ نُدْرِكِ السِّلْمَ وَاسِعـــاً بِمَالٍ وَمَعْرُوفٍ مِنَ القَوْلِ نَسْلَـــمِ

21-فَأَصْبَحْتُمَا مِنْهَا عَلَى خَيْرِ مَوْطِنٍ بَعِيدَيْنِ فِيهَا مِنْ عُقُوقٍ وَمَأْثَـــــمِ

22-عَظِيمَين فِي عُلْيَا مَعَدٍّ هُدِيتُـــمَـــا وَمَنْ يَسْتَبِحْ كَنْزاً مِنَ المَجْدِ يَعْظُـــمِ

23-وَأَصْبَحَ يَحْذَى فِيكُمْ مِنْ إِفَالِهَـــا مَغَانِمُ شَتَّى مِنْ إِفَـــالٍ مُـزَنَّـــــمِ

24-تُعَفَّى الكُـلُومُ بِالمِئِينَ فَأَصْبَحَتْ يُنَجِّمُهَا مَنْ لَيْسَ فِيهَا بِمُجْـــــرِمِ

25-يُنَجِّمُهَا قَوْمٌ لِقَوْمٍ غَـرَامَـــــــةً وَلَمْ يُهَرِيقُوا بَيْنَهُمْ مِلْءَ مَحْـجَـــمِ

26-أَلَا أَبْلِغِ الأَحْلَافَ عَنِّي رِسَالَـــةً وَذُبْيَانَ هَلْ أَقْسَمْتُمْ كُلَّ مُقْـسَـــمِ

27-فَلَا تَكْتُمُنَّ اللهَ مَا فِي صُدُورِكُـمْ لِيَخْفَى وَمَهْمَا يُكْتَمِ اللهَ يَعْـلَـــمِ

28-يُؤَخَّرُ فَيُوضَعْ فِي كِتَابٍ فَيُدَّخَـرْ لِيَومِ الحِسَابِ أَوْ يُعَجَّلْ فَيَنْـقَـــمِ

29-وَمَا الحَرْبُ إِلَّا مَا عَلِمْتُمْ وَذُقْتُمُ وَمَا هُوَ عَنْهَا بِالحَدِيثِ المُـرَجَّـــمِ

30-مَتَى تَبْعَثُوهَا تَبْعَثُوهَا ذَمِيمَـــــةً وَتَضْرَ إِذَا ضَرَّيْتُمُوهَا فَتَضْـــــرَمِ

31-فَتَعْرُكُكُمْ عَرْكَ الرَّحَى بِثِفَالِـــهَا وَتَلْقَحْ كِشَافاً ثُمَّ تُنْتِج فَـتُتْئِـــمِ

32-فَتُنْتِجْ لَكُمْ غِلْمَانَ أَشْأَمَ كُلُّـهُـــمْ كَأَحْمَرِ عَادٍ ثُمَّ تُرْضِعْ فَتَفْطِـــــمِ

33-فَتُغْلِلْ لَكُمْ مَا لَا تُغِلُّ لِأَهْـلِـــهَا قُرَىً بِالعِرَاقِ مَنْ قَفِيزٍ وَ دِرْهَـــــمِ

34-لَحَيٍّ حَلاَلٍ يَعْصِمُ النَّاسَ أَمْرُهُـــمْ إِذَا نَزَلَتْ إِحْدَى اللَّيَالِي بِمُعْظَـــــمِ

35- كِرَامٍ فَلَا ذُو الضِّغْنِ يُدْرِكُ تَبْلَـــهُ وَلَا الجَارِمُ الجَانِي عَلَيْهِمْ بِمُسْلِـــمِ

36-رَعَوْا ظِمْأَهُمْ حَتَّى إِذَا تَـــمَّ أَوْرَدُوا غِمَاراً تَفَرَّى بالسِّلَاحِ وبِالـــــدَّمِ

37-فَقَضَّوْا مَنَايَا بَيْنَهُمْ ثُمَّ أَصْـــدَرُوا إِلَى كَلَإٍ مُسْتَوْبِـــلٍ مُتَـوَخَّـــمِ

38-لَعُمْرِي لَنِعْمَ الحَيُّ جَرَّ عَلَيْهِـــمُ بِمَـــا لَا يُوَاتِيهِم حُصَيْنُ بِنْ ضَمْضَمِ

39-وَكَانَ طَوَى كَشْحاً عَلَى مُسْتَكِنَّـــةٍ فَلَا هُوَ أَبْدَاهَا وَلَمْ يَتَـــقَـــدَّمِ

40-وَقَالَ سَأَقْضِي حَاجَتِي ثُمَّ أَتَّـــقِي عَدُوِّي بِأَلْفٍ مِنْ وَرَائِي مُلْـــجَـــمِ

41-فَشَدَّ وَلَمْ يُنْظَرْ بُيُوتاً كَـثِيـــــرةً لَدَى حَيْثُ أَلْقَتْ رَحْلَهَا أُمُّ قَشْعَـــمِ

43-جَرِيءٍ مَتَى يُظْلَمْ يُعَاقِبْ بِظُـلْمِـهِ سَرِيعاً وَإِلّا يُبْدَ بِالظُّلْمِ يَـظْلِـــمِ

44-لَعُمْرُكَ مَا جَرَّتْ عَلَيْهِمْ رِمَاحُهُـــمْ دَمَ ابْنِ نَهِيكٍ أَوْ قَتِيلِ المُـثَـلَّـــمِ

45-وَلَا شَارَكَتْ فِي المَوْتِ فِي دَمِ نَوْفَلٍ وَلَا وَهَبٍ فِيهَا وَلَا ابْنِ المُـخَـــزَّمِ

46-فَكُلاًّ أَرَاهُمْ أَصْبَحُوا يَعْقِـــلُونَـــــهُ عَلَالَةَ أَلْفٍ بعد ألفٍ مُصَـتَّـــــمِ

47-وَمَنْ يَعْصِ أَطْرَافَ الزُّجَاجِ فَإِنَّـــهُ مُطِيعُ العَوَالِي رُكِّبَتْ كُلَّ لَهْـــــذَمِ

48-وَمَنْ يُوفِ لَا يُذْمَمْ وَمَنْ يَفِضْ قَلْبُهُ إِلَى مُطْمَئِنّ البِـــرِّ لَا يَتَجَمْجَـــمِ

49-وَمَنْ هَـــابَ أَسْبَابَ المَنَايَا يَنَلْنَـــــهُ وَلَوْ رَامَ أَسْبَابَ السَّمَـــاءِ بِسُلَّـــمِ

50-وَمَنْ يَكُ ذَا فَضْلٍ فَيَبْخَلْ بِفَضْلِـــــهِ عَلَى قَوْمِهِ يُسْتَغْنَ عَنْهُ وَيُـــذْمَـــمِ

51-وَمَنْ لَا يَزَلْ يَسْتَرْحِلْ النَّاسَ نَفْسَـــــهُ وَلَا يَعِفْهَا يَوْماً مِنَ الذُّلِّ يَنْـــــدَمِ

52-وَمَنْ يَغْتَرِبْ يَحْسِبْ عَدُوّاً صَدِيـــقَـــهُ وَمَنْ لَا يُـــكْرِمْ نَفْسَهُ لَا يُـــكَرَّمِ

53-وَمَنْ لَا يَذُدْ عَنْ حَوْضِـــهِ بِسِلَاحِـــهِ يُهَدَّمِ وَمَنْ لَا يَظْلِمْ النَّاسَ يُظْـلَـمِ

54-وَمَنْ لَا يُصَانِـــعْ فِي أُمُورٍ كَـــثِيـــرةٍ يُضَرَّسْ بِأَنْيَابٍ وَيُوطَأْ بِمَـنْسَـمِ

55-وَمَنْ يَجْعَلِ المَعْرُوفَ مِنْ دُونِ عِرْضِهِ يَفِرْهُ وَمَنْ لَا يَتَّقِ الشَّتْمَ يُشْـتَـــمِ

56-سَئِمْتُ تَكَالِيفَ الحَيَـــــاةِ وَمَنْ يَعِشَ ثَمَانِينَ حَوْلاً لَا أَبَـــا لَكَ يَسْـــأَمِ

57-رَأَيْتُ المَنَـــايَا خَبْطَ عَشْوَاءَ مَنْ تُصِبْ تُمِتْهُ وَمَنْ تُخْطِىءْ يُعَمَّرْ فَيَهْـرَمِ

58-وَمَهْمَـا تَكُنْ عِنْدَ امْرِئٍ مِنْ خَلِيفَةٍ وَإِنْ خَالَهَا تَخْفَى عَلَى النَّاسِ تُعْـلَـمِ

59-وَكَائِنْ تَرَى مِنْ صَامِتٍ لَكَ مُعْجَـــبٍ زِيَادَتُهُ أَوْ نَقْصُهُ فِي التَّكَـــلُّـــمِ

60-لِسَانُ الفَتَى نِصْفٌ وَنِصْفٌ فُـــــؤَادُهُ فَلَمْ يَبْقَ إِلَّا صُورَةُ اللَّحْمِ والـــدَّمِ

61-وَإِنْ سَفَــاهَ الشَّيْخِ لَا حِلْــمَ بَعْــدَهُ وَإِنَّ الفَتَى بَعْدَ السَّفَاهَةِ يَحْلُــمِ

62-سَأَلْنَــا فَأَعْطَيْتُمْ وَعُدْنَــا فَعُدْتُــمُ وَمَنَ أَكْثَرِ التِسْآلَ يوماً سَيُحْــرَمِ

63-وَأَعْلَمُ مَــا فِي اليَوْمِ وَالأَمْسِ قَبْلَــهُ وَلَكِنَّنِي عَنْ عِلْمِ مَا فِي غَدٍ عَمِى»[1]

[1]- التبريزي، شرح المعلقات العشر، ص129_155.

قائمة المصادر

والمراجع

قائمة المصادر والمراجع :

- القرآن الكريم.

1- أبو الفضل جمال الدين بن مكرم بن منظور الإفريقي المصري، لسان العرب، مج7، دار صادر للطباعة والنشر، ط4، بيروت ، دت.

2- أبو الحسين أحمد بن فارس زكريا الرازي ، مقاييس اللغة، مج1، دار الكتب العلمية، ط1، بيروت، 1420هـ -1999م.

3- الجاحظ أبو عثمان عمرو بن بحر ، البيان والتبيين، تح: عبد السلام محمد هارون، ج1، مكتبة الخانجي، ط7، القاهرة، 1418هـ -1998م.

4- السكاكي أبو يعقوب بن محمد بن علي ، مفتاح العلوم، تح: عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية، ط1، بيروت، 1420هـ -2000م.

5- العسكري أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل ، الصناعتين، تح: مفيد قميحة، دار الكتب العلمية، دط، لبنان،2008.

6- الطبري أبو جعفر محمد بن جرير ، جامع البيان عن تأويل أي القرآن، تح: محمود محمد شاكر، مج9، مكتبة ابن تيمية، ط2، القاهرة، دت.

7- الزوزني أبو عبد الله الحسين بن أحمد ، شرح المعلقات السبع، تح: طلال أحمد، دار الكتب الحديث، ط1، 1423هـ -2002م.

8- أبو عبد الله الحسين بن أحمد الزوزني، شرح المعلقات السبع، دار الجيل، لبنان، ط1، 2005م.

9- ابن زكرياء يحيى بن علي التبريزي، شرح المعلقات العشر، تح: محمد شحاتة إبراهيم الناشر الفيصلية، المملكة العربية السعودية، 1425هـ -2005م.

10- الزمخشري جار الله فخر خوارزم محمود بن عمر، تح: محمد أحمد قاسم، أساس البلاغة، المكتبة العضوية صيدا، ط1، 1423هـ-2003م.

11- أحمد مختار عمر، علم الدلالة، عالم الكتب، ط5، القاهرة، 1998.

12- باديس فوغالي، الزمان والمكان في الشعر الجاهلي، عالم الكتب، ط1، عمان، الأردن، 2008م.

13- حامد صالح خلف الربيعي، مقاييس اللغة بين الأدباء والعلماء، سلسلة بحوث اللغة العربية، دط، السعودية، 1416هـ-1996م.

14- حكيمة حبي، السياق التداولي في "كليلة ودمنة" مذكرة ماجيستير، تيزي وزو، دت.

15- حمدو طمّاس، ديوان زهير بن أبي سُلمى، دار المعرفة، ط2، بيروت، لبنان، 2005.

16- ردّة الله بن ردّة بن ضيف الله الطلحي، دلالة السياق، معهد البحوث العلمية، ط1، مكة المكرمة، 1424هـ-2003م.

17- السيّد أحمد الهاشمي، جواهر البلاغة، المكتبة العصرية، ط1، بيروت، 1999م.

18- سعد الدين أبي الرحمان القزويني، المعاني والبيان والبديع مختصر تلخيص المفتاح، مكتبة ومطبعة محمد علي صبيح وأولاده، دط، 1290هـ-1917م.

19- حفني ناصف وآخرون، شرح دروس البلاغة، شرح محمد بن صالح العثيمين، دار ابن الجوزي، ط1، القاهرة، 1429هـ-2008م.

20- عبد النعيم خليل، نظرية السياق بين القدماء والمحدثين، دراسات لغوية نحوية دلالية، دار الوفاء، ط1، الإسكندرية، 2008.

21- عبد الهادي بن ظافر الشهري، استراتيجيات تحليل الخطاب، مقاربة لغوية تداولية، دار الكتاب الجديد المتحدة، ط1، ليبيا، 2004م.

22- عبد عون الروضان، موسوعة شعراء العصر الجاهلي، دار أسامة، ط3، الأردن، 2009.

23- علي أيت أوشان، السياق والنّص الشعري، من البنية إلى القراءة، دار الثقافة، ط1، الدار البيضاء- المغرب، 2000م.

24- علي عافور، ديوان زهير بن أبي سُلمى، دار الكتب العلمية، ط3، لبنان، 1423هـ- 2003م.

25- عوض حيدر فريد، علم الدلالة، دراسة نظرية تطبيقية، مكتبة الآداب، دط، القاهرة، 2005.

26- فريدة موساوي، المقام في الشعر الجاهلي تناول تداولي لمعلقتي عمرو كلثوم والحارث بن حلزة، مذكرة ماجيستير، 2004-2005م.

27- قصي الحسين، شعر الجاهلية و شعراؤها، منشورات المكتبة الحديثة، ط1، لبنان، 2006.

28- محمد سعيد محمد، في علم الدلالة، مكتبة زهراء الشرق، ط1، مصر، 2002م.

فهرس المحتويات

- مقدمة.....أ

الفصل الأول: مفهوم السياق وعناصره

1- مفهوم السياق.....4

أ- لغة.....4

ب- السياق اصطلاحا.....6

2- مفهوم السياق في التراث العربي.....7

أ-السياق عند البلاغيين.....8

ب- السياق عند علماء التفسير.....13

3- عناصر السياق 15

أ- المنتج.....15

ب- المتلقي.....16

ج- الموضوع.....17

د- الزمان والمكان.....18

4- أنواع

السياق.....19

أ- السياق اللغوي.....19

ب- السياق العاطفي.....20

ج- سياق الموقف.....20

د- السياق الثقافي.....21

الفصل الثاني: عناصر السياق في معلقة "زهير بن أبي سُلمى

1- ظروف إنتاج المعلقة.....23

2- بنية المعلقة.....24

أ- البنى الصغرى:الوصف.....25

-المدح.....25

-الحكمة.....26

3-عناصر السياق في المعلقـة.....27

أ- المنتج.....27

ب- المتلقي.....28

-الحارث بن عوف.....29

-هرم بن سنان.....29

ج- الموضوع.....31

د- الإطار الزمكاني.....33

-الزمان.....34

- المكان.....36

د- الهدف أو الغاية.....37

- خاتمة.....39

- ملحق.....42

- قائمة المصادر والمراجع.....48

- فهرس المحتويات 52